

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَنٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70-71].

يا رب، لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك، وعظيم سلطانتك، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا.

أما بعد :

طلب مني الأخ الدكتور سيف الإسلام معمر القذافي تقديم دراسة للآيات القرآنية الكريمة التي تحدثت عن الشورى، ومع الحوار تطورت فكرة البحث حتى شملت الممارسة التاريخية لقيمة الشورى في تاريخ الأمة، وأبعادها الفكرية، فكان هذا الكتاب.

إن الشورى قيمة إنسانية مارستها الجماعات والقبائل والشعوب والأمم على مرّ تاريخها الطويل، كلّ بطريقته وثقافته وعقيدته وأعرافه وتقاليده، سواء في سهول سيبيريا، أو أدغال أفريقيا، أو صحراء الجزيرة العربية، أو هضاب آسيا، أو مروج أوروبا، أو غيرها من بلاد الله الواسعة، إلا أن الإسلام أضاف لها بعداً تعبدياً وجعلها من القيم الإنسانية الرفيعة، ومن المقاصد الكبرى لهذا الدين، ورتب على العمل بها ثواباً، وعلى تركها عقاباً.

والشورى كانت مع بداية خلق الإنسان، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَآءِ هٰٓؤُلَآءِ إِنْ كُنْتُمْ صٰٓدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالُوا سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا بِأِلَآ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة: 30-32].

وهذه المحاوره تنطوي على نوع من المشاوره، أريد بها أن تكون في بدء الخلق لتكون هدياً ملازماً لبني آدم منذ الخلق الأول، وليكون كاستشارة للملائكة وتكريماً لهم فيكون تعليماً في قالب

تكريم وليسن الاستشارة في الأمور⁽¹⁾، فالشورى هي أول سنة اجتماعية سنّها الله لخلقه ولعباده ليقتدوا بها ويهتدوا بهداها.

في هذا الكتاب يجد القارئ الكريم دراسة موضوعية للآيات المتعلقة بالشورى كالشورى عند إبراهيم عليه السلام، والشورى العائلية، والشورى التي لها علاقة بالحياة العامة كقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ يَتِيمِهِمْ﴾ [الشورى:38]، فالآية الكريمة وردت في سورة تحمل اسم الشورى وهي «سورة الشورى» وتحمية إحدى سور القرآن الكريم باسم الشورى هو في حد ذاته تشريف لأمر الشورى وتنويه بأهميتها ومنزلتها. وجاءت الشورى في هذه الآية وصفاً تقريرياً، ضمن صفات أساسية لجماعة المؤمنين المسلمين فهم بعد إيمانهم متوكلون على ربهم، مجتنبون لكبائر الآثام والفواحش، مستجيبون لأمر ربهم، مقيمون لصلاتهم، وأمرهم شورى بينهم ويذكرون أموالهم وينفقون منها في سبيل الله.

- وهي آية مكية مما يدل على أن الشورى في الإسلام ممارسة اجتماعية قبل أن تكون من الأحكام السلطانية.

- وهي تصف حال المسلمين في كل زمان ومكان فهي ليست طارئة ولا مرحلية، ولقد جعل الله سبحانه احترام الشورى من أئمن خصال المؤمنين وصفاتهم⁽²⁾.

قال تعالى: ﴿فَمَا أُوَيْدْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَلَئِنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ

(1) الشورى في معركة البناء، ص: 15.

(2) الشورى، أحمد الإمام، ص: 15.

وَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَمْنَنُونَ كَثِيرًا إِلَّا الَّذِينَ
وَالْفَرِحُوا وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْرَبُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿ الشورى: 36-38.]

هذا وقد تمّ تقسيم الكتاب إلى مباحث، ففي المبحث الأول كان الحديث عن الشورى في عهد النبوة والخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز ونور الدين محمود زنكي وفي المبحث الثاني، أشرت إلى فوائد الشورى وأحكامها ومجالاتها ولخصت أهم فوائدها؛ من إصابة الحق، وكونها طاعة الله وقربة، وتلاحق للأفكار وتبادل للخبرة والاطلاع على ما عند الآخرين، وإعطاء قوة للمجتمع في أكثر من مجال إنساني، وإشعار المشاركين بالمسؤولية، وتولد الثقة بين الحاكم والمحكوم، ومن فوائدها، الوقاية من الاستبداد وتزويد الدولة بالكفاءات والقدرات المتميزة، وبها تنحصر عيوب التفرد بالقرار وبها يضيق هوة الخلاف بين الراعي ورعيته، والشورى تفجر الطاقات الكامنة في أفراد الشعب وتشجع ذوي الخبرات، وتكافح نزعات التطرف والعنف، وتسدد النظر إلى المشكلة من زوايا متباينة، وبها تتجاوز الخطوب التي تشل التفكير الفردي.

وأما حكم الشورى فقد بينت بأنها واجبة بالنظر إلى طبيعة الحكم في الإسلام، وأن قواعد السياسة الشرعية تستلزم عدم الانفراد بالرأي، لا سيما في أمور المسلمين العامة.

وبحثت مسألة مهمة، هل الشورى معلمة أم مُلزمة؟، وانتصرت لكونها مُلزمة، واستدللت على ذلك بأقوال كوكبة من علماء الأمة، فالقول بإلزامية الشورى هو ما ندين الله به، ونرى

ضرورته وجدواه، وبدونه لا يمكن تفعيل الشورى على المستوى الدستوري للشعب، فالدولة الإسلامية دولة مدنية، تؤمن بالمؤسسات، وترى فصل السلطات، وأن تكون مرجعيتها الإسلام، فهي ليست دولة أسرار ثيوقراطية مغلقة يديرها رجال الدين، وإنما دولة لشعب يسعى بذمته أدناه من مواطنيه، ولذا لا بد أن يتاح لكل أن يسهم في أمر النصح والشورى، وأن يلتزم ولاة الأمور بحكم الأغلبية، كشورى ملزمة، فهذا الأمر من الأهمية بمكان، ولا بد من أن يستبين تماماً قبل الشروع في أي محاولة جدية لتطبيق الشورى في النظام السياسي الإسلامي، وأما مجالات الشورى فهي متعددة، فالمجال السياسي الدنيوي، وفي القضاء وفي تنزيل الأحكام القطعية، وفي الأحكام الاجتهادية والخلافية وفي تنظيم الشورى، وتحديث عن جواز مشاركة المرأة في الشأن العام، وبينت ما قصه علينا القرآن الكريم، من حالة المرأة وهي تشير غيرها، وحالة المرأة وهي تشير على غيرها، وكل ذلك في سياق التنويه والإقرار والرضى، فأما الحالة الأولى. قوله تعالى عن ملكة سبأ: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّ إِلَهِي إِلَهِي إِنَّكُمْ كُنْتُمْ كَرِيمًا ﴿٣١﴾ إِنَّكُمْ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٢﴾ أَلَا تَقُولُوا عَلَىٰ وَأَتُونِي سُبِينًا ﴿٣٣﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٤﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قَوْلًا وَأَوْلُوا بِأَسِ سُبِينٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٥﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا آذَانًا وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٧﴾ [النمل: 29-35].

وأما الحالة الثانية فقول إحدى المرأتين الأخنتين لأبيها عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّكِ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَجَرْتِ

أَلْقَى الْأَمِينُ ﴿ [القصص: 26].

وقد نتج عن هذه المشورة المباركة استقرار وأمن وراحة كبيرة لموسى عليه السلام.

ووضحت أن قيمة الشورى تتسع لسائر المواطنين في كل شأن يمس المصلحة العامة، فلا يتدخل المواطنون المسلمون فيما يجريه المواطنون غير المسلمين من شورى في شؤون عقيدتهم ولا المواطنون غير المسلمين فيما يمارسه المسلمون من شورى في شؤون عقيدتهم إلا ما كان أدخل في القواعد المشتركة بينهما من قيم إنسانية، وقواعد أخلاقية وشؤون فنية وإدارية.

وتحدثت عن أهل الشورى وصفاتهم وطريقة اختيارهم وذكرت أهم صفاتهم كالعلم، الأمانة، والخبرة، ولخصت أهم صلاحيات مجلس الشورى ووظائفه وتكلمت عن الأصول والقواعد الشرعية التي تؤيد تطوير المؤسسة الشورية، كقاعدة سدِّ الذرائع، والمصالح المرسلة والاعتباس لما فيه مصلحة وخير .

وسألت هل يمكننا الاستفادة من الديمقراطية؟ وما هي آفاتها وما هي الفروق بينها وبين الشورى وأوجه الاتفاق معها؟ .

وركزت على العلاقة بين الإصلاح والشورى، فمشاريع الإصلاح التي تندون حولها الأحزاب والدول والمنظمات والمؤسسات ودعاة الإصلاح في عالمنا العربي والإسلامي الكبير مرتبطة جذرياً بالشورى.

فالإصلاح الداخلي، هو النابع من الأمة ذاتها من عقيدتها

وثقافتها، ومن شخصيتها الحضارية واستعداداتها النهضوية، وهو الإصلاح التي تكون الأمة مؤمنة به متفاعلة معه، متشجعة له، داخلة فيه، أو على الأقل لا ترفضه، بل تتجاوب معه ولو نسبياً.

وأشرت إلى أهمية الحرية للشورى وكونها لا تنجح ولا تستمر إلا في ظل الحرية، وأجواء الحرية، وحرية الضمير، وحرية التفكير، وحرية التعبير، فالشورى بدون حرية حقيقية لا يمكن أن تتم، وإذا تمت فلن تستمر، وإذا استمرت فليست هي هي، وإنما هي أسماء وأشكال ورسوم⁽¹⁾.

تعرضت لأهمية تفعيل حقيقة الشورى في الشعوب الإسلامية وأهم الوسائل والرؤى التي تساعد على عودة الشورى إلى حياتهم، كتفعيل المجتمع المدني والمؤسسات الشعبية، ورفض الهالات والقداسة عن الرؤساء والحكام، والإصرار على أن الحكم الإسلامي مدني لا عسكري، ومواجهات التحديات الحضارية، والحرص على حرية البحث العلمي واستقلالته والاستجابة لمتطلبات الشعوب والتغيرات التي تحدث في المجتمعات وفق مقاصد الشريعة، وإشاعة ثقافة الشورى في الأسر والمدارس، والنوادي والجامعات، والروابط والنقابات، ومحاربة الاستبداد والتصدي له، فالاستبداد لا ينتمي إلى الإسلام البتة، بل أنه نقيض الشورى حتماً وفيه من الصفات والأوصاف ما يعكس خلاف الشورى في كل صغيرة وكبيرة وعلى حد توصيف الكواكبي له، حيث يقول: إذا أراد الاستبداد أن يحتسب ويتسب، لقال: أنا الشر، وأبي الظلم وأمي الإساءة، وأخي الغدر،

(1) الشورى، للريسوني، ص: 175.

وأختي المسكنة، وعمي الضرر، وخالي الذل، وابني الفقر، وبنتي البطالة، ووطني الخراب، وعشيرتي الجهالة⁽¹⁾.

قلت ولو احتسبت الشورى وانتمت لقلت: أنا الخير، وأبي العدل، وأمي الإحسان، وأخي الوفاء، وأختي العزة، وعمي النفع، وخالي الرفعة، وابني الغنى، وبنتي العمل، ووطني العمار، وعشيرتي العلم.

إن تقدم الشعوب وقدرتها على مواجهة التحديات الحضارية يعتمد على نشر العدل وإعطاء الحقوق السياسية لأفرادها وجماعاتها، بكافة أنواعها، ولقد عاشت أمتنا الإسلامية في أوج حضارتها وتقدمها، عندما كانت تحافظ على هذه الحقوق وتعطي كل ذي حق حقه وهوت وسقطت لما تجاوزت تلك الحقوق.

إن فلسفة الحكم في الدولة المدنية الحديثة التي مرجعيتها الإسلام ترتكز على الشورى، التي ذكرت في القرآن الكريم ومارسها الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، فقد عرفت طريقها إلى الحياة السياسية وأصبحت من ركائز الدولة في عصر صدر الإسلام.

وهناك أصول شرعية تلازم الشورى كمبدأ إسلامي أصيل من أهمها:

- إن الإسلام اعتبر الشورى منهج حياة إنساني، فضلاً عن كونها ضرورية في نظام الحكم.

(1) طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص: 71.

- إن طبيعة الحكم الإسلامي على مدار العهد النبوي ومروراً بخير القرون كان حكماً شورياً على الرغم من شخصية الرسول ﷺ بين أصحابه، ومكانة الخلفاء الراشدين بين عموم الصحابة رضي الله عنهم.

- إن تشريع الشورى بذاته قائم على المصلحة ودرء المفسدة، وهذا لا ينحصر في الشورى، فالتشريعات الإسلامية كلها قائمة على ذلك من جلب مصلحة ودرء مفسدة، كما يقول العز بن عبد السلام: الشريعة كلها نصائح، إما بدرء مفاسد أو بجلب مصالح⁽¹⁾.

- إن الشورى تتلاحم وتنصّب بفكرة مقاصد الشريعة الكلية، ولها علاقة وثيقة الصلة بالضروريات الخمس التي تناولها الأصوليون بالتحليل والدراسة والبيان، إذ من الطبيعي في أي نظام شوري، أن تتحقق الضروريات الخمس، وأن تحفظ بعمومها، وهذا ليس خاصاً بالمسلمين على التحديد، بل يشمل غيرهم وعلى توصيف ابن عبد السلام.

وكذلك اتفقت الشرائع على تحريم الدماء والأبضاع والأموال والأعراض، وعلى تحصيل الأفضل، فالأفضل من الأقوال والأعمال⁽²⁾.

ولا شك أن أي نظام ديمقراطي أو تسلطي أو استبدادي يقضي على هذه الضروريات، وتضيع في ظل إجراءاته المستبدة، والتاريخ يصدق هذا.

ومن المؤكد أن تحفظ الضروريات في ظل وجود حالة من النزاهة والعدالة، وفصل السلطات، ومحاكمة الحاكم وخضوعه عند

(1) قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، ص: 1.

(2) المصدر نفسه (8/1).

رأي الشعب، فتنوع الحريات لتطال أفعال الحاكم وتصرفاته، وتحصيل المساواة بين الجميع، فلا سلطة إلا للشريعة وقانونها النافذ على الجميع، ونشر العدل في أنحاء الدولة.

في ظل الحكم الديكتاتوري تغيب الشورى، ولا يسمح بالتعبير عن حرية الرأي، ويكون الحاكم مستبداً في تصرفاته ويعاقب بالقتل والسجن لمن أبدى رأيه في أعماله أو أخطاء أبنائه أو حاشيته، وتضيع الحرية والمساواة والعدالة بين عامة الشعب، ولقد سفكت دماء وهتكت أعراض، وضُودرت أموال، وقتل علماء وسجن مفكرون ومثقفون في ظل هذه الدول الظالمة، فلا دين، ولا نفس ولا مال، ولا عقل، ولا نسل، يمكن أن يستقيم أو يحفظ في ظل الأنظمة الاستبدادية والقمعية.

وقد انتهت من هذا الكتاب (الشورى في الإسلام) يوم الثلاثاء الساعة الحادية عشر إلا ربع صباحاً 24 شوال 1430 هـ / 13 / 10 / 2009 م.

والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل ويشرح صدور العباد للانتفاع به ويبارك فيه بمنه وكرمه وجوده، قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَنَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَرُوِيَ الْأَرْزَبُ لَكُمْ﴾ [فاطر: 2].

ولا يسعني في نهاية هذا الكتاب إلا أن أقف بقلب خاشع منيب أمام خالقي العظيم وإلهي الكريم معترفاً بفضلته وكرمه وجوده متبرئاً من حولي وقوتي ملتجئاً إليه في كل حركاتي وسكناتي وحياتي ومماتي، فالله خالقي هو المتفضل، وربّي الكريم هو المعين، وإلهي

العظيم هو الموفق، فلو تخلى ووكلني إلى عقلي ونفسي، لتبلد مني العقل، ولغابت الذاكرة، وليبست الأصابع، ولجفت العواطف، ولتججرت المشاعر، ولعجز القلم عن البيان.

اللهم بصرني بما يرضيك واشرح له صدري وجنبي اللهم ما لا يرضيك واصرفه عن قلبي وتفكيرى، وأسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلا أن تجعل عملي لوجهك خالصاً ولعبادك نافعاً وأن تشيبي على كل حرف كتبته وتجعله في ميزان حسناتي، وأن تشيبي إخواني الذين أعانوني على إتمام هذا الجهد الذي لولاك ما كان له وجود ولا انتشار بين الناس ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب ألا ينسى العبد الفقير، إلى عفو ربه، ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه، قال تعالى: ﴿تَبَسَّرَ صَاحِبًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَفْكُرَ بِمَعْمَلِكِ الْبِئْسَ الْفِعْلُ أَنْعَمْتَ عَلَّيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي رَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿﴾ [النمل: 19].

وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: ﴿رَأَيْدِيكَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿﴾ [الحشر: 10].

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه

علي محمد محمد الصلابي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين